العرب
الثلاثاء 2019/08/13
السنة 42 العدد 11435

# لماذا تراجع حزب الله عن معركته ضد جنبلاط

## حزب الله يسقط رهانات ويستثمر في أخرى

اجتمعت الحكومة اللبنانية، السبت، للمرة الأولى منذ أكثر من أربعين يومًا، غداة التوصل إلى مصالحة درزية - درزية بين طرفي الخصومة في "حادثة عاليه". وجمعت جلسة مصالحة في قصر بعبدا كلاً من رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي، الزعيم الدرزي وليد جنبلاط، ومنافسه في الطائفة الدرزية رئيس الحزب الديمقراطي طلال أرسلان، بحضور الرئيس اللبناني ميشال عون، ورئيس مجلس النواب نبيه بري، ورئيس مجلس الوزراء سعد الحريري. ويربط مراقبون خطوة المصالحة ببيان قالت فيه السفارة الأميركية لدى بيروت، الأربعاء الماضي، إن "أي محاولة لاستغلال الحادث المأسوي (...) بهدف تعزيز أهداف سياسية، يجب أن يتم رفضها". وعلى ضوء ذلك قرّر حزب الله الاستدارة من خلال حضّ حليفه أرسلان على تليين موقفه حيال حادثة قبرشمون.

محمد قواص
صحافي وكاتب سياسي لبناني

سبق للأمين العام لحزب الله السيّد حسن نصرالله أن سخر من "أنتيناتٍ" (هوائيات) وليد جنبلاط ودعاه إلى تصويبها. وللزعيم الدرزي باع طويل في حسن قراءة الأعراض واستشراف مغازيها. ولطالما بنى الرجل ما يقال إنه تقلبات مذهلة في مواقفه على حدسه في استنشاق غبار التحوّلات، فتراجع وتنازل والتف على مواقف سابقة دون أن يرمش له جفن، وتقدم وصعّد وخاطر وسط انبهار بلدٍ يستعصي عليه أحيانا فهم مفاتيحه ورموزه وسرّ تعويذاته.

لم يكن صمود وليد جنبلاط أمام ما اعتُبر هجوما متعدد الأبعاد ضده وضد زعامته وضد البيت الجنبلاطي في لبنان عائدا إلى طباعه فقط. امتلك الزعيم الدرزي معطيات جديدة وصلته مباشرة أو أجاد التقاطها بحنكة العارف والخبير العتيق. وليس صدفة أن مسلسل التصعيد الجنبلاطي الذي فتح النار على القضاء والمؤسسات وقصر بعبدا، جرت ملاقاته ببيان السفارة الأميركية غير المعهود والملتبس والمفاجئ لأصدقاء واشنطن في لبنان قبل خصومها.

ففي ثنايا الحكاية أن هذا الخارج لم يعد يسمح للمتلاعبين (وليس اللاعبين) في لبنان بأن يمعنوا في العبث داخل ميدان لا يحتمل صبيانية سجلت أرقاما قياسية.

من غير المسموح للبنان، هذا البلد الصغير، أن يعطّل مسارات في المنطقة تسهر على رسمها وتعبيد منافذها قوى كبرى في العالم. شيء ما يتم بناؤه خلف الكواليس، بين واشنطن وطهران مباشرة، ومن غير المسموح أن يشوّش على تلك الورش غبار ينفخ برعاية وإشراف حزب الله. وفي هذا أن طهران، ولدواعي تلك الورش، أعادت فجأة، من خلال الأميرال علي شمخاني، اكتشاف أن شخص نصرالله كان عاملاً حاسما في "خلق الوحدة الوطنية" في لبنان. في ثنايا القول أمر عمليات جديد للحزب وقائده.

ما حصل في الأسابيع الأخيرة كان محاولة إيرانية لإثبات مزيد من النفوذ في لبنان من ضمن الأوراق التي تلوّح بها طهران لخصومها البعيدين في العالم. سهر حزب الله على إنجاز الأمر من خلال مجاهرة نصرالله بدعم حليفه طلال أرسلان في معركته ضد خصمه وليد جنبلاط. كان الأخير قد رفع من سقف مواقفه ضد إيران قبل أشهر، وهو أمر لا تتسامح فيه طهران، خصوصا

> **شيء ما يتم بناؤه خلف الكواليس، بين واشنطن وطهران مباشرة، ومن غير المسموح أن يشوّش على تلك الورش غبار ينفخ برعاية وإشراف حزب الله**

في ظروفها الدولية الحالية، ولا يمكن لحزب الله تمريره وهو الذراع العسكرية والسياسية الضاربة لإيران في البلد.

نصح نصرالله حينها جنبلاط بـ"تزبيط انتانه". لم ينس حزب الله "خطيئة" الزعيم الدرزي. عمل على محاصرته في الحكومة وفرض خصومه داخلها. وعمل على تقديم الدعم السياسي الكامل لزعامات درزية منافسة. وذهب، بمناسبة حادث البساتين-قبرشمون، إلى الإيحاء بأنها "أم المعارك" ضد جنبلاط سواء كانت أدواتها طلال أرسلان والوزير صالح الغريب أو ميشال عون وجبران باسيل.

خاض وليد جنبلاط المعركة مستندا على خرائط محدثة للواقع الجيوستراتيجي في العالم والمنطقة. لا يثق الرجل بالعواصم الكبرى وما توحي به لساسة لبنان. يعرف أن هذا الغرب، الذي لطالما افتُرض أنه حليف لتياره السياسي الجامع في البلد، سبق أن تخلى عن مصالحه في لبنان لصالح إيران وحزب الله، وسبق أن ترك سعد الحريري يدخل إلى مكتب باراك أوباما رئيسا للوزراء ويخرج منه وحيدا وقد انقلب عليه الحزب وحلفاؤه في بيروت. ويذكر الرجل أن هؤلاء الحلفاء في الخارج راقبوا بصمت قوات حزب الله تقتحم "جبله" وتحاصر دارته في بيروت.

بيد أن لحظة ما تلاقت داخلها حسابات جنبلاط اللبنانية مع حسابات خارجية طارئة. كثر في الأيام الأخيرة الحديث عن زيارة سيقوم بها الزعيم الاشتراكي إلى موسكو للاجتماع بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين. جاءت الجلبة ترسل رسائل روسية حول المتاح والممنوع في مناورات إيران وحزبها للتعامل مع "حالة" وليد جنبلاط. وبدا أيضا أن بيان السفارة الأميركية في بيروت في كونه سابقة نادرة في الشكل وفي فحوى ما يحتويه في المضمون، أنذر بشكل لا يقبل اللبس أن إرادة الخارج باتت تجبّ أي إرادات محلية شاردة، وأن ما يُحاك مع إيران وما يُدبّر لسوريا وما يُعدّ لسوق الطاقة في شرق المتوسط يتجاوز زواريب لبنان (مساعد وزير الخارجية الأميركي لشؤون الشرق الأدنى الجديد ديفيد شينكر سيزور بيروت الشهر المقبل في هذا الشأن).

عاد سعد الحريري فجأة إلى لبنان بعد كلام كثير عن "اعتكاف" وعن تأجيل عودته إلى ما بعد عيد الأضحى. في ساعات حاسمة تراجع رئيس الجمهورية عن رفضه السابق في أن يكون "شيخ صلح"، وتراجع طلال أرسلان عن سلسلة من المواقف الراديكالية التي كان يبدو أن لا منافذ لها. وفي ساعات حاسمة تقرر "فرض" المصالحة وإعادة تشغيل محركات مجلس الوزراء. وفي ساعات حاسمة، ببساطة، وحتى لو توخى الجنبلاطيون إظهار الحشمة والتواضع، حقق وليد جنبلاط انتصارا ساحقا لا غبار عليه.

ينبغي هنا التنبه إلى أن العامل الحقيقي المباشر في إقفال هذا الملف هو قرار حزب الله في وقف اللعب والتسيّب. والسؤال هنا يكمن حول الأسباب التي دفعت الحزب ومن ورائه طهران إلى إطفاء توتر بات يهدد بالانفجار. فهل قدمت إيران للإدارة الأميركية، خصوصا بعد بيان سفارتها في لبنان، تنازلاً داخل سياق ورشة تفاوض خلفية تجريها قنوات البلدين بعيداً عن الإعلام؟ وهل أوحت إشارات موسكو معطوفة على إشارات واشنطن وتلك التي تسربت من عواصم أوروبية بجدية في التعامل مع الحالة اللبنانية على نحو جديد وربما غير مسبوق بالنسبة لإيران؟

روّج حزب الله قبل أسابيع أن الخلاف مع جنبلاط عميق والقطيعة معه طويلة الأمد. يسرّب الحزب قبل ساعات أن الخلاف ليس أبدياً مع الرجل فيما يُعدّ نبيه بري ظروف لقاء بين الزعيم الدرزي وزعيم حزب الله. يقرّ الحزب، ربما، أن فائض القوة العسكرية التي يهدد بها العالم إذا ما تعرضت إيران لأي مواجهة، غير ذي فعالية في اللعب بتوازنات عتيقة في البلد. ويتأمل الحزب يوماً بعد آخر انقلاب المزاج الدولي وتدحرج العقوبات عليه والتي باتت واشنطن تَعِد بأنها قادمة على حلفائه.

حاول جبران باسيل "اقتحام" الجبل دون العبور عبر "أبوابه" الكبرى. لم يستطع إكمال جولته آنذاك وآثر التراجع إثر حادثة البساتين-قبرشمون. حاول ميشال عون أن يفرغ الحادثة من مفاعيلها الدرزية وتحويلها إلى صدام درزي مسيحي بالزعم أن الأمر استهدف اغتيال صهره. فشل الجميع ونجح جنبلاط متسلحاً بدعم رئيس المجلس النيابي ورئيس مجلس الوزراء وبقية القيادات المسيحية وفي مقدمها سمير جعجع. وغاب باسيل عن مصالحة بشأن "كمين" يفترض أنه كان يستهدفه.

شيء ما في لحظة "فرض" المصالحة قد غيّر من المشهد السياسي في البلد. شيء سيبنى عليه كثيراً ليكون ما بعد تلك اللحظة منقلبا على ما قبلها. شيء قد يربك كثيراً طموحات جبران باسيل في وراثة عمه. شيء قد يجعل من حزب الله أول المراجعين للحسابات التي اعتادها منذ سنوات بحيث يسقط رهانات ويستثمر في رهانات أخرى.

وحده وليد جنبلاط سيبقى حذراً من انقلاب المواقف واندفاع التحولات ولن يثق إلا بـ"أنتيناته".

### انقلاب المواقف قد يعكر مصالحة بعبدا

# تحركات إقليمية لحل الخلافات السودانية

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

احتل تغليب السلام في أقاليم السودان مساحة كبيرة من اهتمامات بعض دول الجوار، وانعكس في شكل تحركات إقليمية عديدة تقوم بها مصر وجنوب السودان وإثيوبيا وتشاد لوضع نهاية إيجابية للخلافات بين الجبهة الثورية التي تضم ثلاث حركات مسلحة، تنشط في دارفور وجنوب كردفان والنيل الأزرق، وبين قوى الحرية والتغيير، والتعجيل بتضمين تفاهمات السلام بين الطرفين في أديس أبابا كجزء محوري داخل الوثيقة الدستورية.

قطعت الحوارات بين المجلس العسكري وقوى الحرية والتغيير شوطا مهما عقب الانتهاء من الإعلان السياسي، ثم التوقيع بالأحرف الأولى على الوثيقة الدستورية واقتراب موعد التوقيع النهائي عليها (في 17 أغسطس) ثم انطلاق قطار الاستحقاقات للتنفيذ. واقتصرت العملية السياسية في هذا الشق على لجنة الوساطة الأفريقية-الإثيوبية بلا منافس، وقامت بمهمتها في ظروف صعبة، ولم تنازعها قوى إقليمية لإثبات الوجود أو التوجيه نحو زوايا معينة.

### الحوار مع الحركات المسلحة

نجحت لجنة الوساطة بامتياز في إدارة الحوار ولم تستسلم للمشكلات التي تتفجر من حين لآخر، وترفعت عن المناوشات التي طغت بفعل فاعل، وتخطت بمهارة الكثير من التحديات، لكنها لم تستطع مواصلة دورها في ملف الجبهة الثورية وقوى الحرية والتغيير، واعتقدت أن التوصل إلى تفاهمات بينهما في أديس أبابا نهاية المطاف، حتى فوجئت بالأزمة الراهنة بين الجانبين، وتتعلق بتضمين رؤية السلام في الوثيقة الدستورية لضمان عدم النكوص عليها. من هنا توالت تدخلات بعض دول الجوار السوداني.

ولدى قيادات الجبهة الثورية، مالك عقوار رئيس الجناح الرئيسي في الحركة الشعبية- قطاع الشمال، ومني أركو ميناوي رئيس أحد أجنحة حركة تحرير السودان، وجبريل إبراهيم رئيس حركة العدالة والمساواة، علاقات وثيقة بدول الجوار، وعاشوا معظم أوقاتهم في دول مثل جنوب السودان وإثيوبيا وتشاد (بجانب إريتريا وكينيا)، وانطلقت غالبية معاركهم من أراضي هذه الدول، باستثناء مصر التي حافظت على علاقاتها معهم في الحدود السياسية.

عندما جرت لقاءات وحوارات سابقة، أو حتى اتفاقات للهدنة والسلام، بين الحركات المسلحة والخرطوم، كانت هذه الدول محورا فيها، ما جعل المحادثات التي جرت أو ستجري في تشاد وإثيوبيا وجنوب السودان ومصر أمرا لا يخرج عن السياق التاريخي في تطورات الأزمة السودانية، وحتى الاجتماعات التي جرت بين النظام السوداني قبل عزل الرئيس عمر حسن البشير وبين قوى سياسية مختلفة لجأت كثيرا إلى بعض دول الجوار. والأدهى أن ثمة قوى من خارج الإقليم شاركت في جولات عديدة من المفاوضات مع أطراف سودانية سياسية ومسلحة.

إذا كانت غالبية الأزمات المحلية في المنطقة تخلت عن خصوصيتها الداخلية، فالسودان عرف هذه الظاهرة مبكرا، بحكم التمدد الجغرافي وسهولة الانتقال عبر الحدود المفتوحة والتشابك الاجتماعي وانتشار حروب العصابات، وغير ذلك من العلامات التي جعلت مشكلات هذا البلد متداولة على أكثر من مائدة تفاوضية، ما يفسر واحدة من المعضلات التي منعت حل أي منها في السابق، وأدخلت الجميع في سلسلة من الدوامات التي أفضت إلى تعقيدات تتجلى ملامحها الآن. يتسم إقبال بعض دول الجوار على الحوار مع الحركات المسلحة بالوضوح، بينما كانت معظم العلاقات سابقا تتم في الخفاء، لأنها انطوت على أهداف غير مشروعة، وجرى توظيفها لتحقيق أغراض معينة وسلكت قنوات ملتوية بعيدة عن الرغبة في التسوية، ومالت إلى التسخين العسكري المتعمد كأداة يمكن من خلالها أن يحقق الرعاة والمطاردون بعضا من مراميهم السياسية التي مكنت حركات مسلحة عدة من مواصلة القتال عشرات السنين.

من الطبيعي عندما يحين الوقت للجلوس حول الطاولة للتفاوض تصبح المسألة صعبة وبحاجة إلى تدخلات أطراف كانت جزءا من اللعبة الإقليمية التي انخرطت فيها فصائل مسلحة سودانية وغير سودانية. الأمر الذي اضطر الجميع إلى إسكات المدافع تحت وطأة مواءمات لم تصمد طويلا، خضعت لتقديرات لها علاقة بزمانها ومكانها ولم تأت تلبية لرغبة إستراتيجية.

تتجه اللعبة القديمة إلى الانفضاض، بعد أن انتهى دورها وفقدت بعض الجهات حماسها، لتحل مكانها لعبة جديدة، في أوان يتطلب التفاهم على أساس جملة من القواسم المشتركة، لأن بعض دول الجوار تمتلك مفاتيح غلق الأبواب السابقة وتستطيع إشاعة الأمل لفتح أبواب لاحقة. ولذلك يعد الدور الإقليمي مؤثرا في ملف الجبهة الثورية أكثر من غيرها. وكما انطلقت البدايات من عند مكوناتها يمكن أن تأتي النهايات أيضا.

ولن تكتمل العملية السياسية في السودان من دون التوصل إلى صيغة مرضية للسلام الشامل، الذي يتوقف على مدى التجاوب مع سد الثغرات التي طالبت بها الجبهة الثورية.

ولأن القوى الكبرى غير مستعدة للقيام بدور مباشر وتكتفي بإرسال إشارات حول هذه المعاني من وقت لآخر، استقرت العهدة عند دول الجوار المعنية بهدم الجدران التي تعوق التسوية مع الجبهة الثورية، وتتحرك وهي تحت المجهر العالمي لحل أزمة وليس لإشعال أخرى. ولعل تصرف أعضاء الجبهة الجماعي وتناسي الخلافات البينية في هذه اللحظة الفارقة يعوق أي أمل للتلاعب أو دق أسافين في صفوفها، ويساعدها على مواصلة صمودها.

### تراجع المنافسة الإقليمية

يؤكد دخول أكثر من طرف على خط الأزمة في آن واحد تراجع حدود المنافسة الإقليمية للقبض على زمام الأمور في السودان، ويكشف عن رغبة جماعية في التسوية بعد أن تغير وجه الخرطوم القديم، وباتت البلاد مقبلة على نظام يستوعب جميع الأطياف، السياسية والعسكرية، ولن تصبح ورقة الفصائل المسلحة ذات جدوى حقيقية في ظل سباق يتم حول البحث عن وسائل شاملة لحل أزمات كثيرة في المنطقة

ويحمل التعامل الإقليمي المحسوب مع ملف الجبهة الثورية والحركات التي لم تندرج تحتها (الحركة الشعبية، جناح عبدالعزيز الحلو، حركة تحرير السودان، جناح عبدالواحد نور)، نكهة سياسية مختلفة هذه المرة، تحرص على تقريب المسافات وتذويب الفجوات وتقوم على مبدأ التنازلات المتبادلة، لأن مهامها سوف تتراجع الفترة المقبلة، ويمكن أن يتم رفع الستار عن الكثير من الخبايا المحرجة.

بالتالي من الضروري أن تكون الأطراف الفاعلة في خضم التسوية السياسية تنشط للحؤول دون تفجيرها من داخلها والتأثير على شكل السودان، وما يمكن أن يحمله ذلك من روافد تجعل من الربيع المنتظر لدولة مثل إثيوبيا شتاء باردا، وتحول الرغبة في استقرار قريب لجنوب السودان إلى توترات مستمرة. وتنظر دول الجوار المعنية إلى الأزمة على أنها قد تكون نعيمها وجحيمها، وتعمل بصورة متناغمة، أو على الأقل وفقا لتصور واحد، هو نزع فتيل ورقة الجبهة الثورية قبل فوات الأوان.